كلمة أخيرة

تنقسم الصورة النمطيّة للمرأة العربيّة إلى شقين. الشقّ الأول متعلّق بالمرأة نفسها. فهي ما تزال مستلَبة، ولا تملك حريّة الاختيار ـ أو الأصحّ أنها هي التي ارتضت هذا الاستلاب. بل هي غيرُ مسؤولة أصلاً عن نفسها، وإنما تردّد ما يقوله الرجل، وتريد ما يتمنّاه. إنّها ظلّ له، لا إنسانٌ أصيلٌ قائمٌ بذاته. هكذا غدت المرأة العربيّة غائبةً عن إعادة إنتاج القيم، وتجاوُز ما فيها من أفكار وسلوكيّات. وهي إلى الآن غير قادرة على التغيير واتخاذ القرارات الحاسمة التي تخدم مجتمعَها وتخدم النساءَ عامّةً. وهذا ما أدّى طبعًا إلى أن تكرّس المرأةُ نفسُها المنظومةَ الفكريّةَ الذكوريةَ القائمة في مجتمعها، وإلى أن تَنْقلها بأمانةٍ إلى بناتها وأبنائها.

أما الشقّ الثاني فيتعلّق بالمنظومة الفكريّة (النظريّة والمعيشة) للمجتمع العربيّ، وهي منظومة تتسم بالتناقضات والازدواجيّة في المعايير والاغتراب عن الحالة الإنسانيّة. فالمرأة لا تزال في هذا المجتمع تحت قبضة التقاليد البالية، من مثل مفاهيم العيب والشرف والعفّة المرتبطة بالمرأة فقط دون الرجل، خاضعةً لقوانين الأحوال الشخصيّة العربيّة التي تعتبر ـ في غالبيّتها ـ أنّها فاقدةُ الأهليّة في التصرّف في أمورها الخاصة، ولا تعدّها ـ بشكلٍ عامّ ـ مساويةً للرجل في مجال حقوق الإنسان والحريّات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة والمدنيّة.

لا أعتقد بوجود حلول ناجزة للمشكلات التي عرضتُها هنا. فالمجتمع العربيّ غارقٌ في الأزمات الاجتماعيّة والثقافيّة والاقتصاديّة والسياسيّة، خاضعٌ لسلطة أبويّة وتراتبيّة طبقيّة: تبدأ بسلطة سياسيّة وتشويهات دينيّة مهيمنة، وتنتهي بسلطة الرجل على المرأة. وهذا الأمر يتطلّب إعادةَ بنائه من جديد.

وفي ظلّ السياسات العربيّة القائمة، فإنّه ما لم يتم الحرصُ أولاً على تأكيد الذات والتعبير عن وجهات النظر المختلفة في جوّ من الانفتاح الفكريّ والحريّة الكاملة لكلّ من المرأة والرجل، فإنّ مجتمعنا سيظلّ متخلّفًا حتمًا، وسيبقى أفرادُه خاضعين مسلوبين.

دمشق

«انحنى القبطان ناحية ضيفة: أنظر إليها، لخصرها يتدلّى أمامك راجيًا في يأس. المرأة ليس لها طعم قبل الأربعين من عمرها...

قام الدكتور حازم شفيق في ازدراء، وقال: كنت أعتقد أنّك تريدني في شيء مهمّ.

انحنى القبطان مراد، وهمس في أذنه: مِنْ خبرتي الطويلة يمكنني أن أخبرك أنْ لا شيء يقرّب الرجل من صديقه سوى أن يتبادلا الغرام مع امرأة واحدة.

فتح الدكتور حازم فمه في فزع، وقال وهو يتصنّع الهدوء: آسف، لا أفهمك.

ـ الموت على الأبواب وأحتاج إلى مساعدتك».

ريم بسيوني: روائيّة مصريّة، حصلتْ على شهادة الدكتوراه من جامعة أوكسفورد. حازت العديد من الجوائز الأدبيّة، منها جائزة ساويرس للأدب ٢٠١٠ عن رواية «الدكتورة هناء»، وجائزة أفضل عمل مترجم ٢٠٠٩ في أميركا عن رواية «بائع الفستق».